

هل صلب اليهود المسيح؟

ملخصه عن كاسيل

طفت بحار دموع وانهملت دماء على الطريق الصخرى الوعر الذى أخذ يقطعه اليهودى التائه منذ ضرب في انحاء المعمورة بعد ان هدم بيت المقدس وطرد من ارض الميعاد . ولهذا الاضطهاد المريع سببان، الاول اقتصادى جنسى، والثانى دينى

ولست اقصد في هذه العجالة تقدير النسبة المئوية بين الاسباب الاقتصادية الاجتماعية والاسباب الدينية — فهى لا تنقص عن أربعين في المائة ولا تزيد عن ستين في المائة على أى حال — ولكن الذى أقصده هو محاولة الاجابة على السؤال الآتى « ما هى المبررات التاريخية التى تبرر مطاردة المسيحيين لليهود منذ قرون عديدة مضت، بفكرة أنهم هم الذين صلبوا الآله الخالد وقبما نجلى في شكل مواطنهم يسوع الناصرى ؟ »

ولو كانت أعمال البشر تسير بموجب قواعد المنطق لوجب على الكنائس كافة أن تزج في صلواتها دعوات حارة لليهود لاشتراكهم في تنفيذ فكرة الخلاص. أليس اليهود هم الذين صلبوا المسيح وهو الامر الذى هبط الى الارض من أجله؟ ألم يأت ليخلص العالم وليغفر خطاياهم بدمه وليزيل وصمة الخطيئة الاولى من جبين الانسانية؟ فاليهود لم يكونوا إذن أكثر من آله صماء سخرها القدر لتنفيذ القضاء حسب ما هو مسطور في كتاب الله . فالواجب علينا اسداءهم الشكر بدلا من ان نتعقبهم ونعمل على إفنائهم وهم هم الذين تسببوا في نشر السلام والمحبة على الارض بعد أن أزهقوا روح المسيح

ولكن ليس على ظهر البسيطة من مفكر منطقي غير الاطفال السذج الذين يسبحون بأفكارهم في أثير شفاف غير ممتلىء بالقذى . إذن فلنحاول بحث الموضوع على أناس آخر

هنالك من يعتقد أنه ليس لدينا بيانات تثبت وجود شخص اسمه المسيح وروح

هذه الجماعة هي مدرسة الكتاب المقدس الهولندية التي تقول إن المسيح ليس الا شخصية خيالية أنبتتها الثقافة اليونانية عندما مزجت بتعاليم مدرسة الاسكندرية اليهودية الاغريقية . فهي قد تمثلت مثلاً أعلا نبشته من قصص العهد القديم ومن كتاب « جمهورية أفلاطون » الذي صور فيه الرجل العادل، وتنبأ عما يلاقيه من الاضطهاد والظلم والسجن والعذاب وتكون نهايته الصاب . فاذا ما ماشينا هذه المدرسة وجب التسليم بفكرة انه ما دام المسيح لم يوجد فلم يحدث، أنه قد قتل؛ ويتبع ذلك ان ليس هناك قاتل

ولكني لن أجادل على أساس تعاليم هذه الجماعة ولا تعاليم المدرسة الالمانية التي ترجع قصة المسيح الى ما يسمونه « أساطير العامة » والتي لا تعلق مثقال ذرة من الاهمية على شخصيته، مع أنها لا تصرح جهاراً نافية وجوده . فانا سأبحث الموضوع على أساس أن المسيح وجد حقيقة في القرن الاول الميلادي، ولكن يجب التفريق تماماً بين التسليم بان المسيح كان موجوداً وبين الاستنتاج عن وجود مستندات ذات قيمة تثبت أنه كان موجوداً . فهذا مالا يمكن العثور عليه مطلقاً

اسلم بان المسيح كان موجوداً برغم ما شاب قصة وجوده من معجزات منها إحياء الموتى، وبالرغم من وقوع حوادث مرعبة قبل ولادته كقتل « ديرودوت » لآلاف من الاطفال . الامر ان اللذان لم يذكر عنهما يوسفوس خبراً ولو طفيفاً مع أنه كان يقيد كل واردة وشاردة من مظالم ذلك الطاغية (ديرودوت) وكذلك لم يذكر المؤرخون المعاصرون بالاقول مجزرة الاطفال المرعبة . أجل اسلم بوجوده بالرغم من أن ظروف مجازته غير معقولة وسترى البرهان وبالرغم من حدوث أمور مذهبة وقت صلبه مثل انتشار الظلام لمدة ثلاث ساعات وقيام الاموات القديسين من قبورهم لزيارة المعارف والاحباب ، لأن سينيكاً وبيلى الكبير، لم يذكر هذا الحادث « الطبيعي » المدهش، في حين أنهما سجلا كل ما حدث في وقتها من الظواهر الجوية والتغيرات الفلكية . أجل اسلم بانه كان موجوداً بالرغم من أنه قام من بين الاموات وعاش على وجه الارض مدة تتراوح بين أربعين ساعة وأربعين

يوماء، ولو لم نعثر في سجلات الحكومة الرومانية، حتى ولا على إسم يسوع المسيح دون ذكر بعض حوادثه. إسم بكل هذا لأن إسم المسيح قد زج بين سطور ما كتبه يوسفوس خلال كلامه عن عهد يختلف عن العهد الذي يزعمون ان المسيح وجد فيه

أبدأ فاقول إن أقرب تاريخ يقدره أ كثر المحافظين لكتابة أول إنجيل من الاناجيل الاربعة يبعد جيلا واحداً على أقل تقدير من العهد الذي يقال ان المسيح وجد فيه، أي أن الذين عاصروا المسيح ليسوا الذين كتبوا عنه، بصرف النظر عن الاخذ بالتقديرات البعيدة فوالحالة هذه يمكن القول دون تحيز أنه لم تؤخذ مذكرات دقيقة عن حياة وأعمال المسيح تباعاً. فالصورة التي تحاول لاناجيل اظهارها عن تأثير المسيح في معاصريه فيها شيء كثير من التخيل والمغالاة وإذا رجعنا الى الاناجيل الاربعة نجد ما لا ي بالاختلافات والتضارب والبولس شامع بين ما ذكر في انجيل يوحنا بالاختصاص وثلاثة الاناجيل الاخرى، ليس في العموميات فقط، بل في الاسماء والاماكن والظروف نجد مثلاً ان مسرح يوحنا هو أرض «يهودا» في حين يكتب الآخرون عن حوارات وقعت في الجليل وفي بيت المقدس على وجه خاص ولا يمالك القارىء ذاته من القلق اذا شاء التثبت من يوم صلب المسيح أكان في ١٤ أو في ١٥ نيسان (إبريل) وهو أمر حثير في ذاته اذا لم يتوقف عليه تعيين يوم عيد الفصح

كذلك يتضح للذي يقرأ بولس الرسول انه كان في عهده انجيل اختفى وكان هذا الانجيل شوكة في حلقومه. وهذا واحد من عدة أناجيل اختفت في عصر اوروبا الديني المظلم الامر الذي يصح الاستنتاج به بان هناك كانت فترة من الوقت اقدم فيها الكتاب على تصنيف قصص خيالية حاولوا فيها تصور شخصية عاليا. هل كان من الممكن أن يصلب اليهود المسيح متخذين نيلاطس آلة صماء لتنفيذ أغراضهم؟ يجب أن يتبادر للذهن لأول وهلة ان الجريمة ترتكب لاجتناء فائدة من وراءها فاذا ما وافقنا على ذلك فلنبحث بعده عن الذي كان يستفيد من أزهاق روح المسيح، ومن هو الذي كان من صالحه التخلص من التعاليم المسيحية؟

اجل كانت توجد بين تعاليم المسيح والتعاليم اليهودية بعض فوارق الا انها كانت — في بادىء الامر — غير ذات بال . وقد ظهر غيره بامثالها دون أن يحتاج الرأى العام الى الدرجة التى يرومون تصويرها لنا . ومن الاناجيل يمكن بسهولة ملاحظة أن المسيح لم يحاول أن ينسخ، بل أتى ليتم . وبمقارنة تعاليمه بما هو موجود بالعهد القديم وبالتلمود سنجد فرقاً يكاد لا يذكر ، في حين أنه اقتبس شيئاً كثيراً جداً منهما .

وقد يقول قائل إنه ربما تكون لهجته هى التى أهاجت اليهود عليه مثل « يانسل الافاعى وخلافه » وردا على ذلك أقوال إني أستبعد صدور هذه الالفاظ من شخص كامل كاذب يصورونه وأرى أنه من المعقول أنها كتبت فى القرن الميلادى الثانى تشهيراً باليهود لان الخلاف بينهم وبين المسيحيين كان على أشده والمذابح تحدث بين آن وآخر . ثم اليست حملة المسيح على الكهنة تشبه شيئاً مما حوته كتب أشعيا وارميا والحكمة ؟

كان المسيح وطنياً أكثر مما كان يحتمله عصره ومن أجل مبدئه الوطنى ساوى بين اليهود وغير اليهود وهذه النصرة الوطنية مع لقب ملك اليهود لها اثر فى الاناجيل ولكن هذا الاثر ليس بكثير البروز لان ماتتناقله ايدينا من الاناجيل الحالية ملائ بذكر المعجزات والاقاويل . فى حين ان الجزء التاريخى منها موجز جداً ومضطرب . وهل لا يستلفت النظر حادث دخول المسيح الى بيت المقدس وترحيب الناس به ترحيباً نفخاً والقاؤهم بسعف النخل فى طريقه ؟ فكيف لا يمكن التوفيق بين هذا الحادث وبين قضية اتهام ييلاطس له بالثورة بل كيف ينتظر ان يهتف له الشعب يوم الاحد ويهينونه يوم الجمعة أى بعد اربعة أيام فقط ؟ قد يقال ان هذا ليس بمستغرب من العامة وهم هكذا دائماً ، ولكن يجب ان نتساءل هنا ، اذن كيف يمكن التوفيق بين هذا المظهر الغير مستبعد وبين ما تحاول الاناجيل افهامه لنا من انه كان للمسيح سلطان عظيم على الناس ؟! أكان كاحد قواد العامة العاديين أم كان صاحب مبدأ جذاب آلهى ؟

واليسب قصة يهوذا غريبه أيضاً ؟ يقال إنهم رشوا يهوذا ليدلهم على مكان

المسيح مع أنه دخل المدينة جهارا دخول المنتصر وذهب الى حيث كان يقيم ولم يذكر بانه كان قاطع طريق هارباً من وجه العدالة

وهل كان القانون الروماني يخول لرجال الدين تشكيل محكمة من اختصاصها الحكم بالاعدام وهو حكم مدني يختص به القضاة والمحلفون وفقاً لنص الشريعة الرومانية ؟ لنفرض ان هذا حصل، فهل غاب عن أولئك الاذكاء ان الحكم بالقتل من الاشياء التي يكاد يحرمها الشرع الاسرائيلي ؟ فلاعتراف في شريعة موسى لايمد دليلاً كافياً الا اذا شهد بوقوع الجرم شاهدان عادلان في ميسورهما اثبات ان المتهم وجد من حذره من نتيجة ما هو قادم على اقترافه فلم يعر التحذير التفاتاً . يضاف الى ما سبق ان من شروط حكم الاعدام صدوره في مكان مخصوص من الهيكل وفي رابعة النهار وليس كما هو مذكور في الاناجيل من ان الحكم صدر بمنزل كبير الربانين في غسق الليل كما انما الحكم قد اصدرته جمعية سرية ارهابية . كذلك توجب الشريعة اليهودية ان ينفذ حكم الاعدام بعد عقد جلستين في يومين تفرقهما على الاقل ليلة واحدة ليتيسر للقضاة مراجعة ضائرتهم فيها. وكذلك يعطى لكل من حكم بالادانة فرصة لتغيير رأيه في الجلسة الثانية، في حين يمنع الذي حكم بالبراءة في أول جلسة عن الرجوع عن رأيه ولعدم تأثير القضاة تؤخذ الاراء مبتدئة من الصغير فالأكبر ويعطى أكبر الكل رأيه اخيراً وذلك حتى لا يتأثر صغير السن والمركز برأى رؤسائه

ولا تعقد المحاكم في ليالى السبت ولا ليالى العيد ولكن الاناجيل تذكر ما هو مخالف لهذا تماماً. فهل لم يتقيد اليهود متدينوهم وخاصيتهم مع عامة بهم باحكام التوراة لان الاناجيل تقول كذلك ؟ كان اليهود وما زالوا اكثر الامم تمسكاً بحرفية احكام كتابهم المقدس

ويصف المؤرخان فيلو ويوسيفوس وشيرهما ييلاداس بعكس ما وصفته به الاناجيل تماماً. فبينما نقراً أن الامبرطور تيبيريوس ارسل له يقول « يدبر الراعي الصالح شؤون قطيعه وليس يقتلهم » من جراء ما اقترفه من الجرائم اعتماداً على الظن وبدون محاكمة، تقول الاناجيل ان ييلاطس قرر بان المسيح بريء وانه لا يحمل دمه. أليس ذلك من الغرابة بمكان ؟

منسوبة لمحمد